شواذّ الخلق

(تتمة ما في الجزء السابق)

واما الشذوذ المتعدّد فهو ان يولد التوأمان متلاصقين من بعض اعضائهما او متداخلاً جسم احدهما في جسم الآخر. وفي الحالة الاولى يكونان كلاهما كاملي الخلق مستقلّين بالوظائف البدنية وانما يكون الشذوذ فيهما من جهة الاتصال بين الشخصين فقط. واتصالهما قد يكون من جانب الرأس وقلما يعيشان الامدة قصيرة وقد يكون من جانب الصدر او الحوض وهو مجمع الوَرِكَين وكثيراً ما يعيشان الى زمن البلوغ وما بعدهُ

ثم ان الاتصال من الرأس قد يكون من الامام فتتصل جبهةٌ بجبهة ومن هذا النوع فتاتان وُلِدتا في القرن السادس عشر في مدينة وُرْمْس من جنوبي المانيا وكان محل الاتصال رقعةً من جبهتيهما بقدر الدرهم بحيث كان وجه احداهما الى وجه الاخرى فكانتا لاتبصران الاشيآء الامن جانب واذا مشت احداهما الى الامام اضطرّت الاخرى ان تمشي القهقرى. وبعد ان اتت عليهما عشر سنوات مرضت احداهما وماتت ففُصِلت عن اختها ولكن ذلك لم يُغنِ عنها فانها اخذت تذبل شيئاً فشيئاً ثم لم تلبث ان تبعت اختها فدُفنت الى جانبها

وقد تخالف جهة الاتصال فتكون جبهة احد الشخصين متصلةً بقذال الآخر والمولودان كذلك لا يعيشان عادةً الامدةً قصيرة. وربما اتصلا من جهة أعلى الرأس فتكون قمة رأس الواحد متصلةً بقمة رأس

الآخر ويكون وجه احدهما متجهاً الى الاسفل ووجه الآخر متجهاً الى الاعلى . وقد شُوهِد توأمان من هذا النوع كانا كاملي الخلقة الاّ انهما لم يعيشا الاّ بضعة أشهر

واما المتصلان من الاسفل فقد يكون اتصالهما من جهة الفخذ فيكونان دائماً متخاصرين ومن هؤلآء فتاتان وُلدتا في النمسا سنة ١٧٠١ وكانتا تتجولان في المانيا وايطاليا وفرنسا وسائر أوربا . ولما بلغتا الثانية والعشرين من العمر أصابت احداهما علّةٌ في الصدر فشاركتها اختها في الضعف والهزال ولما ماتت تبعتها الاخرى بعد قليل . وقد يكون الاتصال من أسفل القصّ اي عظم وسط الصدر الى السُرّة وتكون السُرّة مشتركة بينهما ومن هذا النوع توأمان صينيان وُلدا في سيام سنة ١٨١١ ولذلك يعرَفان بالتوأمين السياميين . وكانت اعضآؤهما الامامية متقابلة من الرأس الى القدمين الا انهما بسبب تجاذبهما حيناً بعد آخر تمطط الغشآء الواصل بينهما فاصبح اشبه بمنطقة طولها ١٣ سنتيمتراً في عرض ٨ سنتيمترات واذ ذاك صارا يستطيعان ان ينحرف احدهما عن الآخر ذات اليمين او ذات الشمال فيكون احدهما الى جانب الآخر على ما يقرب من زاوية قائمة . وكان مزاجهما واحداً فكانا متفقين في الافعال والكلام والافكار وكان جوعهما وعطشهما وسهرهما ونومهما وسرورهما وغمهما وغضبهما كل ذلك مُشترَكاً بينهما حتى كانهما شخصٌ واحد . وقد تقدم لنا في مجلد السنة السادسة (ص ٧٩) ذكر توأمين آخرين يعرَفان بالتوأمين الكورييَّن اثبتنا صورتهما هناك وهما قريبا الوصف جدًّا من هذين

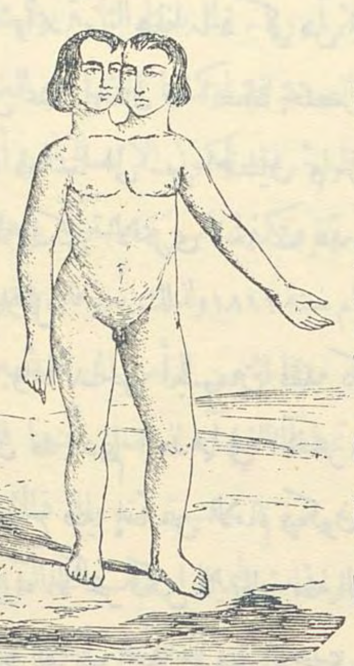
وقد يكون الاتصال من العَجز وهو نادرٌ جدًّا لم يُذكر من نوعهِ الا الفتاتان النمسويتان المعروفتان باسم استير ويهوديت وكان ظهر احداهما الى ظهر الاخرى وهما متصلتان من الأليتين ولكلتيهما مخرجٌ واحد. اشتراهما قسيس روسي ووضعهما في دير ببطرسبرج فلبثتا الى سن الثانية والعشرين ثم حُمّت احداهما وماتت فتبعتها الاخرى بعد ثلاث ساعات

وأندر من هذا ما ذُكر من انهُ كان في دير پواسّيّ في اواخر القرن الثامن عشر اختان قد اتصلتا بخنصرين من اصابع ايديهما وكانتا صحيحتي البنية فعاشتا الى سن الخمسين ثم مرضت احداهما وماتت ففُصلت عن اختها ولكن الاخرى اخذت بعد ذلك تذبل ذبولاً سريعاً وماتت بعد أيام قلائل

وأما تداخل الجسمين فقد يكون في جانب الرأس فيكون هناك رأسان قد أُدغم احدهما في الآخر فكانا رأساً واحداً مع ظهور علامات الازدواج فيهِ إمّا من الامام فيكون لهُ وجهان يُرَى احدهما كانهُ خارجٌ من وراء الآخر لكن لا يظهر منهُ الا عينٌ واحدة في وسط الوجه واذنان في غاية القرب احداهما من الاخرى . وإمّا من الوراء فيكون لهُ قذالان ووجهٌ واحد بعينين واذنين فقط وفمٍ واحد وفي الحالين قد يكون سائر الجسم أو اكثرهُ مزدوجاً لكن بعضهُ متداخل في بعض على اختلافٍ في مبلغ التداخل ويكون لهُ اربع ايدٍ وأربع ارجل . وربما كان للشخص اربع ارجل ويدان ورأسٌ واحد وصدرٌ واحد وسرّة واحدة فيبدأ الازدواج من عند الورك فما دون . ومن هذا النوع مولودٌ وُلد في بال سنة ١٤٧٥

وعاش خمس عشرة سنة ومات بحادثٍ عرض لهُ وكان لهُ اربع قوائم ممتلئة يمينٌ فشمال ثم يمينٌ فشمال وكانت حركتهُ الانتقاليـة سهلةً على قائمتي الجانب الواحد كما كانت على قائمتي الجانب الآخر

وقد يكون التداخل على عكس ذلك فيكون للجسمين المتصلين رأسان مستقلاّن تمام الاستقلال وصدران متداخلان واربع ايدٍ وبطن واحد ورجلان وقد شوهد من هذا النوع مولودان احدهما وُلد في اكوسيا في اواخر القرن الخامس عشر على عهد الملك جاك الرابع فامر بان يُعتنَى بتربيتهِ فتعلم عدة لغات وكان يتكلم فيهنَّ بسهولة . وكان لكلٍّ من رأسيهِ ارادةٌ تخالف ارادة الآخر فكانا كثيراً ما يتخاصمان بهـذا السبب وعاش ثمانياً وعشرين سنة . والآخر وُلد في سردينيا ومات في باريز سنة ١٨٢٨ وكان انثى



فسُمّي احد فرعيهِ رِيتا والآخر خرستيانا وكان موت احدهما سبباً في موت الآخر . ولما مات شرّحهُ جُفْروآ سّنتيلار فكان لهُ قلبان في شغافٍ واحد وكبد واحدة وامعاء مزدوجة الى المعى المعروف بالاعور وسلسلتان فقاريتان تتحدان عند العُصعُص . وربما وُجِد من هذا النوع من يكون ذا رأسين مستقلين وسائر الجسم واحد بيدين ورجلين فقط كما ترى في الصورة

المرسومة هنا وهو أشدّ غرابةً مما تقدم

وهنـاك ضربٌ آخر من التداخل وهو ان يكون احد الشخصين مستقلاً والآخر صغيراً جدًّا غير كامل البنية يتعلق عليهِ ويحيا بحياتهِ كانهُ عضوٌ من اعضائهِ . وهو قد يكون مُدغماً في جسم الشخص وقد يكون متصلاً بهِ من الخارج وعلى كل حال يكون كامل الحسّ ولكن لا قدرة لهُ على الحركة . ومما ذُكر من هذا النوع مولودٌ هنديٌّ وُلد في بنغال سنة ١٧٨٣ وعاش اربع سنوات كان لهُ رأسان احدهما نابتٌ فوق الآخر ولهُ عنقٌ غير كامل الا انهُ اقلّ شعوراً من الرأس الاصلي وكان يشاطر حاملهُ سرورهُ وغمهُ واذا قُرص او وُخز يشعر حاملهُ بالألم كما يشعر باحد اعضائهِ الخاصّة

وجاء في بعض القيود الطبية ذكر فتًى صيني عثر عليهِ احد الاطباء الانكليز في ماكاو وكان بعمر ٢٢ سنة قد اتصل بمقدَّم صدرهِ جنين لا رأس لهُ تامّ التركيب يتدلى الى قرب ركبتيهِ وكان لهذا الجنين حسٌّ كامل فكان ينقبض عند اقلّ لمس وكان الفتى يشعر اذا قُرِص واذا كان القرص شديداً يصيح من الالم . وقد عرض عليهِ الطبيب المشار اليهِ ان يستصحبهُ الى اوربا واطمعهُ بالعطايا الكثيرة فابى

وذكر جَسْپار بَرْتُولّين فتاةً تشبه الهُولة المتقدم ذكرهُ هي التي ترى صورتها فيما يلي يتصل بها مما تحت الثديين جنين لا رأس لهُ كامل التكوين ممتلئ الاعضاء وكانت عضلاتهُ تنقبض عند اللمس الاّ انها غير خاضعة لارادة الفتاة فاذا دُغدغ اخمصهُ انتفضت ساقهُ واذا قُرص رفس رفساً

شديداً مما يدل على الالم أو على شبه الضجر او الغضب

وذكر وِنسلُو انهُ رأى في ايطاليا غلاماً في سنّ الثامنة كان تحت الضلع الثالثة منهُ رأسٌ صغير كامل الاعضاء يفتح عينيهِ وتظهر عليهِ ملامح السرور والانقباض فكأنّ هناك غلاماً آخر قد اختبأ في جسمهِ واطلّ من صدرهِ كما يطلّ الانسان من شبّاك . وكان شعور الغلام والرأس واحداً لانهُ كان اذا قُرصت اذن الرأس قرصةً شديد يصيح الغلام من الالم



وقد بقي من ضروب هذه الخلائق الغريبة واشكالها ما يطول تتبّعهُ ووصفهُ على انها كما اسلفنا انما تُعَدّ غريبةً بالاضافة الى ما ألِفناهُ في اجناسها والاَّ فان المتأمل في هذا الكون لا يقع نظرهُ الاّ على كل عجيب فسبحان من فاتت حكمتهُ العقول وهو الخلاّق العظيم

من كلام الامام عليّ كفى بالعلم شرفاً ان يدّعيهُ من لا يحسنهُ ويفرح بهِ اذا نُسب اليهِ وكفى بالجهل ضعةً ان يتبرأ منهُ من هو فيهِ ويغضب اذا نُسب اليهِ

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

أَجَلْ ان جول سيمون قد ادرك بصائب فكرتهِ وحسن تعليلهِ ما هنالك من الاخطار فقام يصدع بصوتهِ الجهير مبيناً لانصار هذا المذهب عمه بصيرتهم وسوء رأيهم منادياً بوجوب الاقلاع عن هذا المطلب المؤدّي الى تشويه جمال المدنية وتحليل قوى الانسانية وانقراض الكون العمراني وقد قال ما مؤداهُ

« ان الرجل جبّارٌ خُلق للجهاد والجدّ والمرأة مَلَكٌ أُبدع للإسعاد والتهذيب والتعزية ومتى خالف البشر هـذا المبدأ الطبيعيَّ ضلوا سعياً وسآءوا مصيراً . لذلك نرى ان لا تتعلم الفتاة الا وظائفها المخلوقة لها »

وقد اوضح ما ينبغي ان تقتصر الفتيات على تعلمهِ وهو ما يأتي

اللغة الوطنية مع آدابها باتقان . الخياطة وفروعها كالرفء والتطريز وما يأخذ مأخذها . الموسيقى . التصوير . الحساب . فنُّ الاقتصاد . تدبير المنزل . اصول الدين . علم الاخلاق . قواعد الأُلفة . التاريخ . الجغرافية . حفظ الصحة . درس الطبائع . قانون التربية

هذه هي العلوم التي تناسب وظائف هذا المَلَك المعزّي المهذّب الذي عليهِ مدار تنوير الافكار وتبديد الاكدار واستدرار موارد الهنآء والسعادة والراحة والرغد للازواج والبنين لا الملاحة والجندية والطب والهندسة وعلم الهيئة وجرّ الاثقال والطواف حول الارض والعروج في المناطيد والمناضلة

بالسلاح والتربع في دست القضآء فان كل هذه المعدودات تتبرأ من المرأة تبرؤ النعومة من القنفذ والجمال من القرد فاذا زاولت شيئاً منها تجرَّدت من سمات اللطف وهو سلاح الانوثة ومصدر قوتها واصبحت جبّاراً عتيّاً فلا يأتي على الانسان حينٌ من الدهر حتى تراهُ منحطّاً عائداً القهقرى الى حالتهِ الوحشية الاولى مماثلاً الشمپانزي والغورلا[1] التائهين في صحارى افريقيا وغاباتها

قل لي بحقك من ذا يعزّي الرجل ويلطف اخلاقهُ ويهذّب وجدانهُ ويلبي عواطفهُ اذا عادت تلك الريحانة قهرمانةً تناظرهُ وتعاديهِ وتزاحمهُ على اعمالهِ وموارد كسبهِ ومجدهِ بالمناكب وتسلب حقوقهُ كالغاصب واذا لبث عادم المؤاسي فاقد النصير فالى اية حالةٍ من الخشونة وضيق الصدر وصغر النفس يصير

ولرُبّ معترض يقول ان تلك التي تكون في اثنآء النهار لَبُؤةً تكافح وتصارع في معارك المهامّ والاعمال قد تصير في الليل ظبيةً لعوباً يستأنس بها البنون وترتاح الى معاشرتها الرجال . والجواب ان التي تعاني الاعمال الخشنة مدافعةً مكافحةً سحابة النهار منتحلةً وظائف الرجال تحوم كالجائع المفترس على اصطياد الدينار حومة الهرّ اذا عاين الفار لا يبقى لها من لطف الظبآء ما يمكن استعادتهُ في المسآء . وهب انها استعادتهُ بعد الكلفة

---

(١) الشمپانزي والغورلا نوعان من القردة يشبهان الانسان في كثير من احوالهِ حتى ان الغورلا يستطيع السير منتصباً وقتاً طويلاً متوكئاً على عصاهُ واذا اطلق صياد بندقيتهُ عليهِ اختطفها منهُ وحاول اطلاقها انتقاماً ودفاعاً

والجهد فالتكلف لا يدوم وان دام لا يغني عن الحقيقة فتيلاً . وبعد فهل تحصر وظائف الانوثة الموقوف عليها حياة النوع ونمآؤهُ في الغزَل وما يليهِ . ومتى ينظر في سائر الوظائف التي تحتاج الى المثابرة والمزاولة صباح مسآء كالتربية والارضاع وتدبير الغذآء واللباس وسائر ما يتطلبهُ المنزل والعيش والتزاور من متنوعات الشؤون ما دام النهار يُقضى بالعراك والمصادمة ونصب الاشراك لاقتناص المجد والمال رغماً عن أنوف الرجال

— ١١ —

انني قبل ان اطالع ما ورد عن جول سيمون من هذا القبيل ببضع ليالٍ جمعني الاتفاق ببعض المتعصبين لرأي الغلاة في وجوب مجاراة النسآء للرجال فدار بيننا البحث والجدال على هذا الموضوع الخطير فاوسعتهُ تفصيلاً مبيناً المضارّ التي تنشأ عن هذه البدعة المخالفة للوضع الطبيعي والهادمة لاركان العمران البشري ـ وأنا أحسب اني اول من قرع هذه الساحة ـ حتى اذا كنت بعد ايام اطالع في احدى المجلات العربية عثرت على نقل بعض ما جال في خاطر جول سيمون مما مرَّ بك بيانهُ في الفصل السابق فجزمتُ اذ ذاك ان ما دار في خلَدي انا المحجب في زوايا الشرق تحت الخمول هجس في صدر ذلك الفيلسوف الذائع الصيت المتربّع في دست العظمة في اجمل عواصم الغرب وما ذلك بعجيب فقد تتوارد الخواطر كما يقع الحافر على الحافر وهيهات ان يخفى الحق على متفكرين

بيد انا وان اتفقنا في الاصول فقد اختلفنا في بعض الفروع ولعل الاختلاف نشأ عن الفرق بين عوائد البلادين واليك البيان

ان جول سيمون قد تساهل مع الحزب المتشيع للنسوة الطامحات الى مماثلة الرجال فلم يرَ بأساً من أن يمارسنَ بعض الصناعات ويزاولنَ حرفةً ما من مثل الصيدلية وبيع الانسجة والحلوى او المُسكر وان يخدمنَ في دوائر البريد والبرق وان يكنَّ طبيبات ٍ ومعلمات موسيقى ورقص الى غير ذلك مما كان الى عهدٍ غير بعيد منحصراً في الرجال فاصبح اليوم مشاعاً بين الفريقين زاعماً ان تلك المهن لا تعبث بلطف الاناث ولا تحطّ من شأنهنَّ بل لعلها تقي المعوزات منهنَّ في حالة الترمُّل او العنوس ذل الحاجة وبلاء الفقر

على انني لا ارى معهُ هذا الرأي وعندي ان السماح لهنَّ باية حرفةٍ كانت مما يلجئهنَّ الى مزايلة منازلهنَّ يومياً والتجول في الاسواق والشوارع والجلوس في الحوانيت للاخذ والعطاء مع الرجال على تفاوت طبقاتهم في المنزلة والتهذيب والآداب وفيهِ ضياعٌ لشرف الانوثة وعزتها واستدراجٌ لما وراءهُ من اسباب الابتذال والضعة وخرابٌ لنظام الحياة المنزلية في كل عصرٍ وقطرٍ وأُمة

أجَل تستطيع الفتاة حذراً من ان يعضها الفقرُ بنابهِ ويجور الدهرُ عليها بصروفهِ ان تتقن بعض الصناعات اليدوية أو الفنون الموسيقية أو الكتابة حق الاتقان بحيث انها عند مسيس الحاجة - التي لا تكون الا عند انقطاع الوليّ والقريب وفقدان النصير وتعذر الزواج وعدم امكان الدخول الى ملاجئ الخير - تتكسب مرتزقةً بما أتقنت فان الخياطة وما يتفرع عنها من التوابع صناعة رائجة لن تبور وكذلك تعليم الموسيقى أو

التصوير أو بعض اللغات لبنات (لالرجال) يزرنَها في بيتها أو تزورهنَّ في بيوت آبائهنَّ في ساعاتٍ معينة للتدريس يكفي المعوزة مؤونتها بل يزيد ولا جناح عليها منهُ ولا تثريب فهي في الحالين غنية عن تعاطي الحرف التي أباحها جول سيمون مما لا يتهيأ للفتاة او الارملة مزاولتهُ حتى تكون خرّاجة ولاّجة مُخالِطة للعوامّ الطغام ومتزلفة اليهم وفي ذلك ما فيهِ مما يمجُّهُ الطبع وينبذهُ الذوق السليم فضلاً عما يُنتج من المحذورات التي تخشى مغبتها

ثم يمكن الفتاة ايضاً ان تراسل الصحف السيّارة ومجلاّت العلم والأدب والازياء (المودات) وتصوّر المناظر الطبيعية والمدن والمحافل والنسآء النبيلات المشهورات ـ دون الرجال والغاويات المتبذلات ـ وتنقش المعدنيات وتصوغ الحلى وتحوك الطنافس وتكوي الالبسة وتلفّ التبغ وفي كل هذا من مَوارد الكسب ما فيهِ كفاف فتاةٍ بل اسرةٍ وهو سهل المنال كثير الرواج يمكن الفتاة مزاولتهُ وهي قعيدة بيتها لا تخالط الا افراداً من الرجال

هذه هي عندي الصنائع التي يُباح للمرأة ان تتعيش بها في أزمنة الاحتياج دون ان تتعدى حدود الانوثة وواجبات الصيانة مُحافِظةً على طلاوة الخَفَر ومهابة الترفع وجلال التهذيب لا ما عدَّدهُ جول سيمون مما يسوقها الى التبذّل قسراً ويفضي بها الى التهتك طبعاً

ان الكنت تولستوي فيلسوف الروسيين في هذا القرن لما رأى انهماك النسآء في زماننا الحاضر بمحاكاة الرجال تفحُّلاً وتحدياً شعر بما

سيحدق بالبنآء البشري ويلمُّ بعمرانهِ من هذه الجهة فقال ـ ويا نِعمَ القول ـ ان الرجوع الى الحالة السابقة الفطرية واقتسام الاعمال في الحاجيات مشاركةً خيرٌ لنا من المدنية الحاضرة اذا افضت بالمرأة الى فقدان بهجة انوثتها مع انها ذريعة البقآء وجرثومة سعادة النوع الانساني . وهو قولٌ من الحكمة وبُعد النظر بمكان　　(ستأتي البقية)

الجوكيّة

هم طائفةٌ بالهند يوصفون بالسحر ولهم اعمالٌ غريبة لا يمكن ان تُحمَل على شيء من ضروب الايهام والتشبيه التي يصنعها المُشعوِذون ولكنها من قبيل السحر البابليّ المشهور . وهذه الاعمال قديمة في الهند شهدها ابن بطوطة في رحلتهِ الى تلك البلاد في اثنآء القرن الثامن للهجرة اي من نحو ست مئة سنة ووصف بعضاً منها وصفاً مطابقاً لما يذكرهُ السيّاح في هذا العهد . فانهُ بعد ان ذكر هذه الطائفة قال ان احدهم يقيم الاشهرُ لا يا كل ولا يشرب وكثيرٌ منهم تُحفَر لهُ حُفَرٌ تحت الارض فلا يُترَك لهم الاّ موضعٌ يدخل منهُ الهوآء ويقيم احدهم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة . ورأيت بمدينة منجرور رجلاً من المسلمين ممن يتعلم منهم وقد رُفعت لهُ طبلة (؟) وأقام باعلاها لا يا كل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوماً وتركتهُ كذلك فلا أدري كم أقام بعدي . والناس يذكرون انهم يركّبون حبوباً يا كلون الحبّة منها لايام معلومة أو اشهر فلا يحتاجون في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بامورٍ مغيَّبة والسلطان

يعظّمهم ويجالسهم • ومنهم من يقتصر في اكلهِ على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الاكثرون والظاهر من حالهم انهم عوّدوا انفسهم الرياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها

وحكى بعد ذلك قال بعث اليّ السلطان يوماً وأنا عندهُ بالحضرة فدخلت عليهِ وهو في خلوة وعندهُ بعض خواصّهِ ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطّون رؤوسهم لانهم ينتفونها بالرماد. فامرني بالجلوس فجلست فقال لهما ان هذا العزيز من بلادٍ بعيدة فأَرِياهُ ما لم يَرَهُ فقالا نعم • فتربع احدهما ثم ارتفع عن الارض حتى صار في الهوآء فوقنا متربعاً فعجبت منهُ وأدركني الوهم فسقطت الى الارض فامر السلطان ان أُسقَى دواءً عندهُ فأفقت وقعدت وهو على حالهِ متربع • فأخذ صاحبهُ نعلاً لهُ من شكارة[1] كانت معهُ فضرب بها الارض كالمغتاظ فصعدت الى ان علت فوق عنق المتربع وجعلت تضرب في عنقهِ وهو ينزل قليلاً قليلاً حتى جلس معنا • فقال لي السلطان ان المتربع هو تلميذ صاحب النعل • ثم قال لولا أني اخاف على عقلك لامرتهم ان يأتوا بأعظم مما رأيت فانصرفت عنهُ وأصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لي بشربةٍ اذهبت ذلك عني • اه

وجآء في رسالةٍ لبعض السيّاح المعاصرين ذكر اعمال اخرى منها ما يُعرَف في تلك البلاد بلعبة التفّاح البرازيلي وهي انهم يُظهِرون شجرةً تَنْبت للحال ثم تأخذ في النموّ والارتفاع وفي دقائق قليلة تصبح دوحةً

(١) كلمة مولدة من لغة المغرب يراد بها الجراب او الكيس من جلد ونحوهِ

ذات افنانٍ واوراق ثم تعود فتتضاءل وتصغر شيئاً فشيئاً الى ان تضمحلّ من اصلها فلا يبقى لها اثر . ومنها ان يجلس احد هؤلاء اللاعبين متربعاً على مائدة صغيرة فيأتي خادمهُ ويغطيهِ بملاءةٍ ثم يزحزح المائدة من تحتهِ حتى يسحبها ويبقى الرجل متربعاً في الهواء لا شيء تحتهُ ويبقى كذلك أحياناً مدة ساعة وهو اشبه بما ذكرهُ ابن بطوطة

وروت جريدة مدراس مايْل الانكليزية حكايةً اغرب مما ذكر وهي ان واحداً من اولئك الجوكية عمد الى حبلٍ طويل فربط باحد طرفيهِ كيساً كان على الارض ورمى بالطرف الآخر في الهواء فارتفع ما يزيد على ثلاث مئة أو خمس مئة متر ثم لبث في ارتفاعهِ حتى توارى في السحاب وبقي الطرف الآخر متدلياً الى الارض . ثم أمر ابنهُ ان يتسلق الحبل فتسلق بيديهِ ورجليهِ وما زال يرتفع حتى غاب عن البصر . وبعد ذلك ناداهُ وامرهُ بالنزول فابى فدعاهُ ثانيةً فلم ينزل فغضب الرجل واخذ سكينهُ وتسلق الحبل وراءهُ ولما اختفى سمع الناس صراخاً وجلبةً في الجوّ ثم نزلت قطرات دمٍ كبيرة سقط بعدها رِجلا الولد ثم جسمهُ واخيراً رأسهُ . وبعد ذلك بقليل نزل الرجل بتُؤَدة ورمى بالسكين وهو مضرَّج بالدم ثم حرّك الحبل فنزل من الجوّ فضمهُ ثم غطى جثة الولد بمُلاءة ملوَّنة وأخذ الحبل والسكين وسائر ادوات صنعتهِ فجعلها في الكيس ثم توجه الى الجثة فجذب الملاءة من فوقها فنهض الولد صحيحاً معافًى وذهبت قطرات الدم كأن لم يحدث شيء

وجاء في احدى المجلاّت الفرنسوية بتوقيع الربّان لُجُوف ما تعريبهُ

اكتب هذه الرسالة وأنا لا أخشى الاّ امراً واحداً وهو ان أُتهم بالجنون

أو الكذب ولكن الامر هنا ابعد من ان يُرمَى المحدّث بهِ بمثل ذلك أو ان يستغربهُ الناظر فانهُ حيثما مرّ الانسان يرى في احدى زوايا الطُرُق جوكيًّا ينيم أهوَل الافاعي وبمجرَّد نظرتهِ يستوقف الفرس عن عدْوهِ ٠

ولما كنت أعلم ان الناس في فرنسا لا يصدّقون من جاءهم بمثل هذه الاخبار تحرّيت في كل مرةٍ اكتب فيها عن مثل هذه الاعمال ان استشهد اناساً ممن رأوها عياناً واكلفهم ان يثبتوا اسمآءهم وصفاتهم وفي مأمولي ان المطالع يهب اولئك الشهود الثقة التي قد يأباها عليَّ

وشهودي فيما اكتبهُ هذه المرة هم الربّان هرّيت والمسيو جان سّيرينّاي والدكتور پاراتّين ٠ وهذا الاخير معروف في فرنسا بما اشتهر لهُ من المزاولات في علاج الامراض الصدرية والربان هرّيت من اكابر الموظفين في الجيش الانكليزي والمسيو سيريناي من اشهر تجار اللؤلؤ في هذه الناحية وهو هنا بوظيفة قنصل للحكومة الفرنسوية والذي سأقصّهُ حدث بمشهد الثلاثة المذكورين في ١٢ مايو سنة ١٩٠٥

وذلك انهُ في اليوم المسمّى دخلنا نحن الاربعة بيتاً في شمالي شَمْبُوك وهو معبدٌ لاحد الاوثان مبنيٌّ بالخشب فعرَّفنا المسيو سّيرينّاي بقيّم المعبد واسمهُ متزك وسألهُ أن يجري امامنا بعض اعمالهم الغريبة فقال حبًّا وكرامة ٠ ثم أجلسنا على حُصر مفروشة في أرض المكان ووقف هو في الوسط وكان احدنا عن يمينهِ والآخر عن شمالهِ والثالث أمامهُ والرابع وراءهُ بحيث كانت لا تخفى علينا خافية من اعمالهِ ٠ ثم دعاني الى قربهِ فامتثلت وكانت بجانبهِ ربيعةُ اي جرمٌ ثقيل تُمتحَن بهِ القُوَى تزِن بضعة

كيلغرامات فامرني برفعها فانحنيت ورفعتها بغير عناء حتى اوصلتها الى موازاة وجهي ثم اعدتها الى الارض . فقال ارفعها ثانيةً فانحنيت ايضاً وحاولت ان ارفعها بكل جهدي فلم استطع فقبضت عليها بكلتا يديّ واستفرغت كل قوتي ولكن بغير جدوى . ورأى ذلك الربّان هرّيت فلم يصبر عن ان نهض وحاول رفع تلك الربيعة بكل طوقهِ فلم يُفلِح ايضاً . فقال لهُ الجوكيّ جرّب مرةً اخرى لعلك تستطيع رفعها ففعل فرفعها كما يرفع ريشةً من الارض

وقد فحصنا الربيعة فحصاً دقيقاً من جميع وجوهها ثم اختبرنا الارض التي كانت عليها لعلنا نجد هناك قوةً مغناطيسية فلم نجد شيئاً . ولكن الربان بقي عندهُ شيءٌ من الريب فنقل الربيعة الى موضع آخر من الغرفة فقال لهُ متزك ارفعها فرفعها بسهولة ثم وضعها فقال لهُ أَعِد رفعها فحاول ذلك بكل قدرتهِ فلم يستطع

وكان في يد الدكتور عصاً من الخيزران يتصل بها في موضع القمع تمثال رأسٍ من العاج فاخذها الجوكيّ من يدهِ وركزها على ارض الغرفة وكانت من خشب فلبثت واقفةً كانها مغروزة فيها فتقدم المسيو هرّيت ليأخذها فلم يستطع تحريكها من مكانها فتركها ووقف جانباً . فقال لهُ الجوكيّ عُد الآن وخذها فانها لا تمتنع عليك ففعل فلم يكن فيها اقل مقاومة . فقال لهُ هل لك ان تعيدها واقفة كما فعلت أنا فركزها على الارض وتركها فانقلبت وقد رسمت قوس دائرة حول النقطة التي ركزها فيها . وخاف الدكتور ان ينكسر تمثال العاج فبدر منهُ صوت تأسُّف وللحال وقفت العصا

مائلة على الهيئة التي كانت عليها في دورانها . فالتفت اليَّ الجوكيّ وقال مرها أن تستقيم فامرتها فرسمت قوساً اخرى على عكس ما رسمت اولاً ثم انتصبت عمودية وثبتت في مكانها

فقال لهُ الربان هَرّيت ان العصا تطيعك اذا كانت على الارض فاذا فاذا وضعناها على هذه المائدة أفتطيعك ايضاً . قال عليك بالامتحان . فعمدنا الى المائدة نقلّبها ونفحصها حتى تحققنا خلوّها من كل تدبير احتيالي ولزيادة الثقة اخذنا جميع الحُصر المفروشة في أرض المكان و وضعنا بعضها فوق بعض ثم أقمنا المائدة فوق الجميع واذ ذاك تقدم الجوكيّ وأخذ العصا فوضعها قائمة فوق المائدة فلبثت واقفة كما وضعها . فدنونا من المائدة ونظرنا تحتها فلم نجد شيئاً وأخذ الدكتور عدة إبَر من الفولاذ وألقاها فلم يكن في شيء منها حركة انجذاب مما أثبت لنا انهُ لم يكن هناك مغناطيس . وقد حاولنا الواحد بعد الآخر أن نرفع العصا عن المائدة فلم نستطع ولم يمكن أن تنفصل عن المائدة الا حين امرها الجوكيّ

و بعد ان فرغنا من أمر العصا عمد الجوكيّ الى كُمّتي فأخذها عن رأسي ووضعها على المائدة ثم امرها فأخذت تدور ثم وضعها على الارض فدارت كذلك على هيئاتٍ شتى ورسمت دوائر مختلفة من كل نوع وهي في كل ذلك تدور حول نفسها . ثم دارت من حولنا عدة مرات وخطَت في طول الغرفة وعرضها وكانت اذا دنت من الجدران تعطف فتستتمّ دورانها وهي تارةً تزحف رُوَيداً وتارةً تجري بسرعةٍ شديدة . ثم تسلقت احدى ارجل المائدة ولما بلغت سطحها دارت عدة دورات ثم رجعت

فنزلت على رجلٍ اخرى حتى بلغت الارض

فقال الربّان لو شئنا ان ترتفع في الهوآء هل تحتاج الى ما تعتمد عليهِ .

فلم يزد الجوكي على ان دنا من الكمة وهو صامت فتناولها وبحركةٍ خفيفة قذفها صُعُداً فارتفعت الى علوّ مترين ولبثت واقفةً بين السمآء والارض واذ ذاك اضطجع الجوكيّ على حصير واشعل غليوناً من الافيون

(ستأتي البقية)

اسئلة واجوبتها

القاهرة — رأيت كثيراً من عليـة الكتاب ونابغيهم يستعمل كلمة « وجدان » ويريد بها النفس والضمير وقد بحثت فيما امكنني الحصول عليهِ من كتب اللغة فلم اجد لها هذا المعنى . وكذلك يكتب كثيرٌ من الكتاب « لا اكلمهُ رأساً » يريدون التأبيد و « كلمتهُ رأساً » يريدون مشافهةً وقد استعمل هذا التركيب الاخير حضرة الفاضل كاتب روايات « جيرار » وفي رأيي ان هذا الاستعمال مختصرٌ من « رأساً لرأس » فما قولكم في ذلك كلهِ

علي الجارم بدار العلوم

الجواب — اما « الوجدان » فهو مصدر وَجَد والمراد بهِ في مثل ما ذكرتم الشعور النفساني كوجدان اللذة والالم والفرح والغمّ وما يجري هذا المجرى وهو مجاز عن الشعور بأعراض المحسوسات كوجدان طعم الشيء او رائحتـهِ او ملمسهِ . قال في تاج العروس « قال المصنف في البصائر نقلاً عن ابي القاسم الاصبهاني الوجود أَضرُب وجود باحدى

الحواسّ الخمس نحو وجدت زيداً ووجدت طعم الشيء ورائحتهُ وصوتهُ وخشونتهُ ووجود بقوّة الشهوة نحو وجدت الشبَع » الى آخر ما هناك . وفي شرح المواقف في الكلام على الكيفيات النفسانية «اللذة والالم بديهيان فلا يعرّفان لتحصيل ماهيتهما فان الاحساس الوجداني بجزئياتهما قد افاد العلم بتلك الماهية »

واما قولهم « لا اكلمهُ رأساً » فهو كقولنا لا اكلمهُ اصلاً اي امنع الكلام من اصلهِ . قال في الكليات «وما فعلتهُ اصلاً اي بالكلية وانتصابهُ على المصدر او الحال اي ذا اصل فان الشيء اذا أُخِذ مع اصلهِ كان الكلّ وكذا رأساً » اه . واما قولهم « كلمتهُ رأساً » فلم نعثر فيهِ على كلام لأحد ولا يبعد ان يكون الاصل فيهِ ما ذكرتم

المطرية (دقهلية) - في الليلة العاشرة من شهر رمضان سنة ١٣٢٣ رأيت حول صفحة القمر البيضآء الفضية هالةً خضرآء زبرجدية محاطة بدائرة حمرآء ياقوتية فما هذه الهالة وما سبب ظهورها ح . ع . ج

الجواب — تقدم لنا كلامٌ وافٍ في الهالة واسبابها في الجزء العشرين من السنة الرابعة (ص ٦٠٩) فراجعوهُ في محلهِ ان احببتم ومنهُ يتبين لكم ان ما وصفتم بهِ الهالة المذكورة لا يخلو من سهو اذ جعلتم اللون الاخضر من الداخل والاحمر من الخارج وهو خلاف الطبيعي كما يتحقق لكم مما ذُكر من تعليلهِ هناك

آثار ادبيّة

كتاب الامامة والسياسة ـ اطرفنا حضرة الاديب محمد محمود افندي الرافعي بنسخةٍ من هذا الكتاب تأليف ابن قُتيبة النحويّ اللغويّ المشهور. وهو كتابٌ نفيس جمع فيهِ اهمّ الاخبار والوقائع التاريخية مما يتعلق بمسائل الامامة وقد ابتداُه من عهد الامام ابي بكر الصدّيق وتتبع ما وقع بعد ذلك من الحوادث الى عهد خلافة المأمون وضمَّنهُ كثيراً من الخُطَب المنتقاة والرسائل البليغة بحيث كان الكتاب جامعاً بين الفائدتين التاريخية والادبية. وقد صدّرهُ الناشر بترجمة المؤلف بعد ان عني باختيار اصحّ نُسَخهِ واوضح بعض مشكلاتهِ نقلاً عن المصادر الموثوق بها. فنثني على همتهِ لما توخى في نشر هذا الكتاب من خدمة العلم وبحثّ الادباء على مقتناهُ وهو يباع في اشهر مكاتب القطر وثمنهُ عشرة قروش مصرية

خطابٌ في الافلاس – هو خطابٌ القاهُ حضرة الاصولي الكاتب نجيب افندي الشوشاني في منتدى الكلية الاميركانية في بيروت عدّد فيهِ ضروب الافلاس واحكامهُ النظامية وانواع العقوبة عليهِ عند امم مختلفة ثم فصّل اسباب الافلاس التقصيري والاحتيالي وشرح ما يترتب عليهما من بوار التجارة والاضرار بأصحاب الاموال من جميع الطبقات مع بيان الوجوه التي تسوق اليهما وتجرّئ عليهما وكل ذلك ببيانٍ شافٍ يدل على براعة الخطيب فنثني على حضرتهِ ثناءً طيباً ونرجو ان يكون في خطابهِ للتاجرِ عبرة وللحكام موعظةٌ وذكرى

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ١٢ —

اخبرتكم في حديث سابق ان المارشال ماسينا استدعاني اليهِ فلما بلغتني دعوتهُ توجهت الى معسكرهِ مسروراً لانهُ كان يحبني ويجلني اكثر من بقية الضباط . فوجدتهُ جالساً في خيمتهِ وقد أسند رأسهُ بيدهِ وعلى جبهتهِ غضون تدل على انهُ في اهتمامٍ عظيم . ولكنني ما صرت امامهُ حتى سُرّي عنهُ ونظر اليَّ متبسماً وسبقني في التحية ثم سألني عن فرقتي فقلت ان رجالي وجيادهم لا مثيل لهم في كل الجيش . قال وجراحك قلت انها لا تبرأ ابداً . قال ولمَ ذاك قلت لانهُ كلما برأ جرحٌ اصابني غيرهُ . قال انك لتباري الجنرال راب في شهرتهِ فانهُ اصيب باحدى وعشرين رصاصة من الاعدآء ونظيرها من خناجر قطاع الطريق وقد علمت انك متألم مما أصابك فلم استدعِك قبل الآن . قلت وهذا قد آلمني اكثر من الكل . فتبسم ثانيةً ثم قال لا يخفى عليك انهُ بعد بلوغ الانكليز تورس فدراس لم يبقَ علينا عملٌ خطير نقوم بهِ فلذلك لم يَفُتْك ما يستحق الذكر من الاعمال المهمة اثنآء اعتقالك في سجن دارتمور واما الآن فقد حان وقت العمل . قلت وهل في نيتكم الهجوم غداً . قال كلا بل التقهقر . فلما سمعت هذه الكلمة طار رشدي فانني كنت لا أزال حاقداً على ولنتون لانهُ لم يسمع توسلاتي حين طلبت منهُ اخلاء سبيلي ولم يجبني الا بارسالي الى سجن بلادهِ فلم يهن عليَّ ان اسمع كلمة التقهقر امامهُ . وادرك ماسينا ما يجول في خاطري فقال لا يسوءك الامر يا جيرار فاننا

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

محاطون بالاعداء من جميع الجهات ولا بدَّ لنا من تغيير مركزنا بالانتقال . فقلت ولِمَ لا يكون انتقالنا بالهجوم الى الامام . فهزَّ رأسهُ وقال يصعب علينا خرق صفوف الاعداء ولا سيما بعد ان فقدت الجنرال سنت كروا وغيرهُ من الرجال الذين لا اجد من أستعيضهُ عنهم وفوق ذلك فقد صار لنا ستة أشهر في سانتاريم ولم يعد يوجد في هذه النواحي صاع دقيق أو زق خمر فترى انهُ من اللازم ان ننسحب . فقلت ولكنهُ يوجد كثير من الحنطة والخمر في لسبون . فقال وهل ظننت ان الجيش كلهُ نظير فرقتك يستطيع العبور ذهاباً واياباً بدون خوف المعارضة فلو كان المارشال سوات هنا بالثلاثين الفاً لنظرنا في ذلك .... والآن لنعد الى حديثنا فقد استدعيتك يا جيرار لامر خطير نويت ان افوض اليك القيام بهِ . فابرقت أسرتي لدى سماع ذلك . ثم أخذ خريطة بسطها امامي وجعل يدلني على الامكنة المرسومة عليها فقال هذه سانتاريم وعلى مسافة خمسة وعشرين ميلاً الى الشرق منها بلدة المايكسال المشهورة بنضارة مزروعاتها وخصب كرومها وخصوصاً الدير الكبير المبني هناك وفيها الآن المارشال ميلغلار وهو انكليزي الاصل ومن أسرة شريفة . فالذي اريدهُ منك الآن هو ان تذهب الى هذا المارشال وتشنقهُ على اقرب شجرة تصل اليها . فقلت السمع والطاعة ثم حولت ظهري ومشيت . فقال لي الى أين قلت لانفذ امرك يا مولاي . فتبسم وقال مهلاً الى ان اطلعك على التفاصيل قبل مسيرك . فاعلم ان المارشال ميلغلار رجل شجاع لا يهاب الموت وقد كان ضابطاً في الحرس الانكليزي ولهُ ولع بالمقامرة فطردوهُ من الخدمة بسبب غشٍّ حاولهُ وتمكن من جمع بعض الجنود الآبقين فتحصن بهم في الجبال ثم انضم تحت لوآئهِ عدد من فُرّاغ الفرنسويين وقطاع الطرق من البرتوغال حتى صار اميراً على اكثر من خمس مئة مقاتل فهجم بهم على دير المايكسال فامتلكهُ وطرد الرهبان منهُ وحصَّنهُ . واتفق في الاسبوع الغابر ان الكنتة لاروندا اشهر مثريات اسبانيا مرت من تلك الناحية فأسرها رجال المارشال وسجنوها في الدير وهددوها بالقتل ان لم تفد نفسها بمبلغ عظيم من المال . وقد استدعيتك لتقوم بثلاث مهمات وهي ان

تخلص تلك السيدة وان تعاقب ذلك الغادر وان تشتت شمل عصابتهِ . واعلم ان ثقتي بهمتك تحملني على ان لا أسمح لك با كثر من نصف فرقة لترافقك في اتمام هذا العمل لانهُ لا يمكنني اعطآؤك ا كثر وقد بدأت بالتقهقر وانت لا تجهل مقدرة ولنتون ورجالهِ ومتى فرغت من مهمتك فقابلني مسآء غدٍ في أبرانت حيث ا كون في انتظارك

ولا تسألوا عن سروري بهذه المهمة مع علمي بما فيها من المشقة لانني كلفت انقاذ الكنتة ومعاقبة الانكليزي بالشنق وتفريق رجالهِ الخمس مئة وذلك جميعهُ بمساعدة خمسين رجلاً غير ان هؤلآء الخمسين كانوا من الهوسار وقائدهم جيرار . فللحال ذهبت بنفسي فاخترت الرجال وا كثرهم من الذين حضروا معارك الحرب الالمانية وعليهم آثار المواقع التي خاضوا غمارها ولم أرهم سائرين ورآئي وتحت قيادتي حتى شعرت ان قلبي يرقص طرباً

وكان من الحكمة ان لا نعرّض انفسنا للجيوش الانكليزية التي بثت العيون والارصاد في جميع النواحي فسرت بفرقتي القليلة في طرقٍ غير مألوفة بين وهاد وحقول مزروعة ونحن بلا دليل يقودنا أو وجود احد نستفهم منهُ حتى ادركنا المغيب في وسط وادٍ قد كست جوانبهُ اشجار السنديان . و بينما نحن نتسلل بين الاغصان اسرع اليَّ أحد الجنود وقال لي انهُ رأى فرقةً من فرسان الانكليز الى جانبٍ منا فأهمَّني الامر ونظرت الى حيث أشار فرأيت فرقةً لا يزيد عدد رجالها عن عددنا ورأيت أنها تسير مثلنا الى جهة مخصوصة وعرفت من اول نظرة مقدار قوتها فوقعت بين امرين اما ان نعارضهم وقد تحققت الفوز عليهم او ان ندعهم وشأنهم لانفاذ مهمتنا التي كانت تُلزمني ان احافظ على جميع رجالي فلا افقد واحداً منهم . فأمرت فرساني بالوقوف واسندت يدي على سرج الجواد وجعلت استشير نفسي واذا بفارس انكليزي قد ظهر امامي ولما رآني صاح برفاقهِ فتبعوهُ ووقفوا امامنا صفّاً مستطيلاً وللحال أشرت الى رجالي فأقمتهم صفّاً يقابل ذاك و بين الصفين نحو مئتي يرد . ولما وقفنا بعضنا امام بعض وأنا افكر في ما ذا يجب ان افعل اذا بضابط الفرقة

الانكليزية قد استلّ سيفهُ وتقدم نحوي كانهُ يدعوني الى المبارزة . فأُعجبت بشبابهِ وبجلوسهِ على صهوة جواده حتى كدت أنسى كل ما أنا فيهِ وأنا اتامل محاسنهُ . ولكن اتيان جيرار لن يكون متأخراً عن واجباتهِ بل ان جوادي ايضاً يعرف صفاتي فلم يطق ان يرى الضابط الانكليزي يتقدم وانا واقف في مكاني فتقدم نحوهُ وبذلك نبهني الى انهُ يجب عليّ ان لا ابقى متأخراً

ولما كانت ذاكرتي اسرع من البرق كما علمتم مما رويتهُ لكم فلما اقتربت من الضابط الانكليزي تحققت انني قابلتهُ قبل تلك المرة والحال عرفت انهُ هو نفس الضابط الذي أنقذني من قطاع الطرق الاسبانيول والذي لعبت معهُ بالورق قبل اسري وأخذي الى سجن دارتمور وانهُ هو نفسهُ المسمى السير رسل بارت فصحت بهِ أهلاً بك ايها العزيز بارت . وكان قد استلّ سيفهُ وعزم على منازلتي فلما سمع كلامي وعرفني حنى سيفهُ مسلماً وصاح بتبسم مرحباً بك ايها الصديق جيرار فقد ظننت اننا امام اعداء لا بدّ لنا من مقاتلتهم ولكنني ارى انني امام صديق قديم لا استطيع ان اقاومهُ . اما أنا فسرني ان الاقي صديقي القديم ولكنني لم اخلُ من استياء لانني كنت اوثر ان أُري الانكليز نصال سيوفنا فقلت لهُ انهُ ليسرّني ايضاً ان اراك ولكنهُ يسوءني انني لا أستطيع تجريد سيفي في وجه رجل انقذني من الموت . وكان جوادانا قد تقاربا فصافحني وقال اننا تقابلنا قبل هذه المرة وكنت انت تمدح رجالك ومقدرتهم وارانيالآن امامك برجالي وقوتنا متعادلة فما قولك اذا جرّبنا جنودنا ليقنع بعضنا بعضاً بالبرهان . قلت لا أَحَبَّ اليَّ من ذلك فقد رأينا مقدَّم فرقتك وسأُرِي جنودي مؤخرها . فقهقه ضاحكاً وقال لا بأس فاذا غلبنا كم كان ذلك تأييداً لمعتقدي واذا غلبتمونا كان لكم ما تريدون وكان السعد مرافقاً لنجم المارشال ميلغلار . فلما سمعت هذا الاسم اعترتني هزة فقلت لهُ وما مرادك من ذكر هذا الاسم . قال انهُ اسم متشرد يقطن هذه الجهات وقد ارسلنا الجنرال ولنتون لالقاء القبض عليهِ وشنقهِ بدون توقف . فقلت وقد بان الاستغراب على وجهي ان المارشال ماسينا قد وجهنا لهذه الغاية عينها وتلا كلامي ضحك كلينا ثم اغماد سيوفنا

وللحال احتذت الفرقتان مثالنا فأغمدت الجنود سيوفها وكان لها صليل مطرب . ثم قال لي اذاً نحن متحالفون قلت نعم ولكن ليومٍ واحد . قال لا بأس فلنضمّ قوتنا معاً وهكذا تحوَّل عزمنا عن مهاجمة بعضنا بعضاً الى جمع الفرقتين وقيادتهما لقضآء المهمة التي حكم الاتفاق ان تكون واحدة . و بعد كلام قليل أصدرنا اوامرنا فسرت مع الضابط في المقدمة جنباً الى جنب وسارت جنودنا صفين متحاذيين ولم يفقه أحد منهم ما دار بيننا من الحديث ولكنهم كانوا ينظرون بعضهم الى بعض نظرات الحقد والازدرآء . ولم يهمني كل ذلك فجعلت أقص على رصيفي ما جرى لي بعد اسري وارسالي الى سجن دارتمور وكيفية نجاتي ثم قص عليَّ كيف حوكم على اطلاقهِ سراحي وقت لعبنا بالورق وكيف حكم المجلس العسكري عليهِ بسبب الاهمال . ولم نزل سائرين نتبادل الحديث الى ان بلغنا وادياً فسيحاً فوقفنا للاستراحة وظهرت امامنا قرية صغيرة فيها بناية عظيمة عرفناها للحال انها دير المايكسال الذي نقصدهُ . ولما ظهرت لنا مناعة ذلك الدير وحالة تحصينهِ علمنا ان لدينا مهمة خطيرة جدًّا لم يكن الفرسان الذين معنا ليقوموا باتمامها فقال لي صديقي لو رأى ولنتون وماسينا ما نرى نحن الآن لاصدرا اوامر غير التي اصدراها في ارسالنا . قلت لا بأس ايها الصديق واذا كان القائدان قد اخطأا في تدبير ما يلزم فلنرِهما بفعلنا اننا نتمكن من اصلاح خطأهما . و بعد هنيهة قال لي انك اقدم مني في الجندية و بما أن غرضنا واحد فانني افوّض اليك التدبير والقيادة . قلت مهما كان عملنا فيجب ان نفعلهُ في الحال لانني مضطرّ ان اكون غداً مع فرقتي في ابرانت حيث ينتظرني ماسينا وجيشهُ . ولما قلت ذلك حانت مني التفاتة فرأيت على مقربةٍ منا بيتاً اشبه بفندقٍ وعلى بابهِ صاحبهُ وراهب يحادثهُ بحدّة . فتقدمنا الى جهتهما ولما نظرانا اسرع صاحب الفندق بالخروج يريد الهرب ورآهُ احد الجنود الانكليز فتبعهُ وقبض عليهِ . ولما صار أمامنا قال لنا بتذللٍ ارحماني يا سيديّ فقد مرَّت عليَّ جنود الانكليز والفرنسويين فلم يبقَ في فندقي طعام ولا شراب بل نهبوا كل شيء عندي وقد جآءني هذا الراهب يطلب قوتاً فلم يجد . وقبل ان يتم كلامهُ تقدم الراهب ايضاً وقال لقد صدق صاحب

الفندق في قولهِ فانهُ أصبح لا يملك شيئاً كما اختبرت انا ذلك بنفسي فلا خوف من اطلاق سراحهِ لانهُ لو أراد الهرب لما استطاع

أما انا فكنت اسمع الحديث وقد وجهت نظري الى الراهب افحص هيئتهُ بنظري الحاد فوجدتهُ رجلاً اسمر اللون شديد العضل ذا لحيةٍ سوداء كثيفة طويل القامة حسن التركيب تلوح على وجههِ ملامح السلطة والعظمة • فقلت لصاحب الفندق لا تخف يا هذا اما انت يا أبتِ فاظنك الوحيد الذي يمكنك ان تطلعنا على ما نريد معرفتهُ • قال انني رهين امركم ولكنني اكاد اموت من الجوع فهل لديكم ما يرد اليَّ رمقي • فقدَّمت لهُ بعض ما حملتهُ جنودي من الزاد فالتهمهُ بشرهٍ ثم قلت لهُ يهمنا معرفة احوال دير المايكسال وقوة المتشردين الذين تحصنوا فيهِ • فلما سمع كلامي رفع يديهِ الى العلاء وتمتم باللغة اللاتينية ثم قال لم اكن اظن ان صلاتي تستجاب بسرعةٍ كهذه فانا رئيس الدير الذي تطلبونهُ وانا الشقي المطرود من ديرهِ بل رئيس تلك الكنيسة التي جعلها المارشال ميلغلار مأوًى للصوص • ولما قال هذا جعل ينتحب وسالت دموعهُ على خديهِ حتى رثى لهُ صديقي فجعل يلاطفهُ ويعدهُ انهُ سيعيد اليهِ ديرهُ ورئاستهُ قبل بزوغ الصباح • فقال الراهب انهُ لا يهمني نفعي الشخصي ولا منفعة الرهبان اخواني بل يسوءني ان يبتذل هذا المكان المقدس وان تصبح كل الشعائر الدينية الموجودة فيهِ هزءًا وسخريةً للمارشال ميلغلار ورجالهِ • فقال لهُ صديقي لا تخف ولا تحزن بل أرِنا كيفية الدخول الى الدير ونحن نواثقك على رد كل شيء الى ما كان عليهِ • ولما تحقق الراهب غرضنا جعل يطلعنا على ما تهمنا معرفتهُ وأخبرنا أن سور الدير يزيد عن الاربعين قدماً في الارتفاع وان نوافذهُ محصنة بالقضبان الحديدية تتخللها بنادق اللصوص لصدّ هجوم العدو وهم يتناوبون الحراسة بتمام الدقة والترتيب ويساعدهم في ذلك وفرة عددهم حتى انهُ يستحيل ان يبغتهم أحد قبل ان يعلموا بهِ

وكانت فرساننا في هذه الاثناء قد نزلت عن جيادها للاستراحة فدخلت بالراهب وصديقي الانكليزي الى احدى غرف الفندق لنبحث في الامر وكان في

جيبي زجاجة من الكنياك قسمتها بيننا لتنشيط صديقي ثم قلت لهما لا شك ان رجال المارشال لا يعلمون شيئاً من قدومنا وغايتنا فأرى الاحزم ان نختفي في احدى جهات الغابة حتى اذا فتحوا ابواب الدير هجمنا عليهم وهم غير مستعدين فننال غايتنا . فوافقني الضابط على هذا الرأي واما الراهب فقال انني اخالف رأيكما لانهُ لا يوجد مخبأ لا في جهة البلدة فلا يؤمن اذا رآكم احد اهلها ان يبلغ المارشال الخبر فيذهب سعيكم سدًى . فقلت ولكنني لا ارى لنا غير هذه الطريقة لان عددنا اقل مما يكفي لمهاجمة سور الدير فضلاً عن عدم وجود المدافع معنا . فقال الراهب انني وان كنت من رجال السلام فانني انصح لكما بما يساعدكما على نيل المقصود فاعلما انهُ يأتي كل يوم الى الدير عدد من رجال الانكليز والفرنسويين ويطلبون الانضمام تحت راية المارشال فأرى الافضل ان تدَّعيا انكما آتيان بمن معكما لمثل هذه الغاية ومتى قلتما انكما آتيان من معسكركما للانضمام اليهِ فلا يتأخر عن ادخالكما ومتى صرتما مع رجالكما داخل جدران الدير فدبرا ما ترومانهِ . ولما سمعت هذا الرأي لم ألبث ان استصوبتهُ غير ان الراهب اردف ذلك بقولهِ لا يخفى ان المارشال ميلغلار رجلٌ ذكي جدًّا متوقد الخاطر فقد لا تجوز عليهِ هذه الحيلة اذا رأى فرقة انكليزية بتمامها وفرقة فرنسوية بتمامها آتيتين اليه وقد يريبهُ امركم . قلت اصبت يا أبتِ فالاحوَط اذاً ان يدخل نصفنا اولاً فينامون ليلتهم وفي الصباح يفتحون ابواب الدير لدخول الخمسين الآخرين . وصادف رأيي استحسان الراهب والضابط فجلسنا نتباحث فيهِ بتأنٍّ وتدبر حتى لو كان ولنتون وماسينا معنا لما تمكنا من التصميم على احسن مما قررناهُ نحن . ثم نظر اليَّ الراهب وقال اذا القيتم القبض على هذا الخبيث ميلغلار فماذا تفعلون بهِ . قلت قد حكمنا عليهِ بالشنق ولا بد من تنفيذ الحكم . قال ان الشنق قليل عليهِ فلو خُيّرت انا في اهلاكهِ لاخترت لهُ . . . ولكن لا يليق بكاهن نظيري ان ينتقم . ولما قال هذا وضع يدهُ على جبهتهِ كأنهُ يسكّن اضطراب افكارهِ ثم خرج من الغرفة . ولما خلوت بالضابط الانكليزي جعلنا نبحث في من منا يدخل الدير كما قررنا ومن ينتظر خارجاً . ولا يغرب عن

بالكم ان جيرار لم يكن ليسمح لاحد بالتقدم عليهِ في المواقف الخطرة غير ان رصيفي لبث يتوسل اليَّ ويستحلفني بكل عزيز وكريم ان اسمح لهُ حتى اضطررت الى اجابة طلبهِ فصافحتهُ علامة الرضى والموافقة • وللحال سمعنا ضجةً في الخارج وصراخاً وحركة مما جعلنا نظن ان رجال المارشال قد اطبقت علينا فخرجنا فرأينا نحو عشرين من فرسان الانكليز ونظيرهم من الهوسار قد هجموا بعضهم على بعض ودارت بينهم الملاكمة والمخاصمة بشدة • فأسرعنا الى تفريقهم بالحسنى فلم تجدِ توسلاتنا وملاطفتنا شيئاً ولم نتمكن من كفهم الا بعد ان جردنا سيوفنا وسرنا بين صفوفهم • ورأيت الراهب واقفاً على باب الفندق يرسم علامة الصليب ويتمم بكلمات الصلاة ويطلب مساعدة القديسين • وعلمنا بعد الفحص ان الراهب نفسهُ كان سبب العراك فانهُ لما تركنا في الغرفة خرج الى الفرسان فرأى ضابطاً انكليزيًّا فقال لهُ يا ليت لكم مثل شجاعة الفرنسويين • ورأى الضابط فارساً فرنسويًّا بجانبهِ فلكمهُ ليري الراهب شجاعتهُ وللحال اطبقت الفرسان بعضها على بعض كما مرَّ • ورأيت من وجوه الفرسان انهم لا يزالون يودُّون الرجوع الى العراك فأحببت ان الهيهم عن ذلك وقلت لصديقي ارى الافضل ان نسير لاتمام ما قصدنا ان نفعلهُ • فاقترب من رجالهِ واطلعهم على ما دبرناهُ فأظهروا السرور ثم سار امامهم وتبعوهُ بدون نظام ليدخلوا الدير كأنهم بالحقيقة هاربون من المعسكر • فودعناهم راجين لهم الخير ومنتظرين ان يفتحوا لنا ابواب الدير في صباح اليوم الثاني ولم نزل نتبعهم بانظارنا حتى بلغوا الدير فوقفوا ريثما تمت الاستعلامات اللازمة ثم دخلوا وحجبهم السور عن نظرنا

وكان الليل حالك السواد والمطر يتدفق بغزارة فسرني ذلك لانهُ يساعد على اختفآئنا ثم فرَّقت الفرسان حولنا للحراسة ودخلت الفندق فرأيت فيهِ فراشاً توسدتهُ ونمت • ولا انكر ايها الاصدقآء انني كما اشهد لنفسي بالشجاعة التي لا تماثل وعدم المبالاة بالاخطار يجب ان اعترف ايضاً بما ينقصني مما لا بد منهُ لمن كان مثلي وهو النوم الخفيف فانني كنت اذا نمت يصعب ايقاظي • وهذه النقيصة كانت سبباً لدخول المكيدة عليَّ في تلك الليلة فانني بعد ان نمت آمناً افقت نحو الساعة

الثانية بعد منتصف الليل على رائحة غريبة كادت تخنقني وحاولت. ان اصيح فلم استطع ثم حاولت الوقوف فلم اتمكن لاني وجدت يديَّ ورجليَّ مربوطة رباطاً متيناً اما عيناي فكانتا مطلقتي السراح فنظرت الى جوانب الغرفة فازددت استغراباً ودهشةً لاني رأيت امامي صاحب الفندق والراهب . وكنت قد رأيت صاحب الفندق بالامس فكانت هيئتهُ تدل على الجبن والبله اما الآن فوجدتهُ عنوان الشراسة ومثال الانتقام وقد اخذ بيدهِ خنجراً يلوح الموت على حدّهِ . اما الراهب فكان لا يزال كما كان غير ان ثوبهُ قد فتح من الامام وبان تحتهُ لباس الضباط الانكليز . ولما وقعت عيني عليهِ اتكأ على سريري وهو يتبسم وقال اعذرني يا حضرة الكولونيل جيرار اذا تبسمت فان هيئتك الآن تضحك الثكلى ومع اني اشهد لك بالجرأة والاقدام فانك لا تزال بعيداً عن مساواة خادمك الحقير الذي يكلمك الآن والذي يسمونهُ المارشال ميلغلار . ولو وجدت نفسي تلك الساعة في الجحيم وملائكة الشر تكلمني لما تعجبت ودهشت كما حصل لي عند سماعي تلك الكلمات فلبثت صامتاً اتفرس فيهِ . ثم تقدم صاحب الفندق فهمس في اذنهِ شيئاً فقال لهُ لا ايها العزيز فان حياتهُ تنفعني اكثر من قتلهِ . ثم نظر اليَّ وقال اشكر الهك يا جيرار على نومك الثقيل لانك لو افقت حين كان صديقي هذا يقيدك لكنت الآن في عالم الاموات وانصح لك الآن ان لا تحاول التملص منهُ او الاستنجاد عليهِ لانهُ ليس اقل خطراً مني . ولا تتعجب اذا قلت لك انك منذ سرت من معسكرك وسارت الفرقة الانكليزية من معسكرها عرفنا بكم وراقبنا حركاتكم واحضرنا جميع الاستعدادات في الدير لملاقاتكم . ولكننا كنا نود وصولكم جميعاً الى الدير لا وصول نصفكم فقط لان من يدخل باب الدير يرى نفسهُ في عرصة تحيط بها نوافذ وفيها البنادق المصوبة فاما الخضوع والتسليم او الهلاك المحتوم . ولكي اريك تدابيرنا بعين الحقيقة سنأخذك معنا الى الدير ونريك ذلك عياناً وتقابل هناك صديقك الانكليزي ايضاً . ولما قال هذا امر صاحبهُ ان يعتني بحراستي ليذهب ويرى الاستعدادات الاخرى . واتى صاحب الفندق فجلس على حافة السرير وخنجرهُ بيدهِ ليزيد

عذابي فكدت اجن من الغيظ ولمت نفسي كثيراً ثم خطر لي انهم سيأخذونني اسيراً الى الدير فأي اهانة بعد هذه وجربت ان امتحن قوة وثاقي فوجدتهُ متيناً يدل على براعة الفاعل فعمدت الى السكوت . و بعد قليل سمعت وقع اقدام فظننت ان الراهب قد عاد ولكنني ما عتمت ان رأيت في باب الغرفة احد فرساني واسمهُ بابيليت . ولا ازيدكم علماً ان جميع فرساني قد تعلموا مني ان يكتموا بلحظة واحدة ورأى بابيليت حال دخولهِ ما انا فيهِ فسمعتهُ يشتم ثم استل سيفهُ وهجم على صاحب الفندق . وحاول هذا ان يقابلهُ بخنجرهِ ولكنهُ خطر لهُ فكرٌ آخر فعاد اليَّ ولما صار بقربي رفع يدهُ بالخنجر وضربني بمنتهى قوتهِ وكنت قد قرأت ذلك في عينيهِ فجمعت قوايَ وقبل ان تصل ضربتهُ كنت قد انقلبت عن السرير الى الارض فمرَّ خنجرهُ حذآء خاصرتي ودخل في الفراش الى الخشب . وقبل ان يرفع يدهُ ثانيةً كان قد اصبح شطرين تحت سيف بابيليت الذي كان امهر الفرسان في ضرب الحسام وفي أقل من لمح البصر فك وثاقي فلم اصدق ان وقفت امامهُ مطلقاً حتى ضممتهُ الى صدري وقبلتهُ

وكانت التقادير قد قادت بابيليت الى نجاتي وكان لا يعلم شيئاً من امر الكاهن وصاحبهِ وانما جآء ليوقظني ويتلقى أوامري فرآني في تلك الحال وقد اخبرتهُ بالاختصار بما جرى • واننا لكذلك واذا بوقع أقدام اخرى عرفت للحال انها أقدام المارشال ميلغلار وقبل أن اتكلم عرف بابيليت فكري فاختفى ورآء الباب فأشرت اليهِ ان لا يؤذي المارشال ثم عدت ونمت على سريري ولم اكد افعل حتى فتح الباب وظهر ردآء الراهب ولكنهُ لم تطأ قدماهُ ارض الغرفة حتى وثبنا اليهِ فأظهر منتهى القوة الجسدية حتى كاد يتملص منا لو لم يقترب منهُ بابيليت بحسامهِ ورأى ان لا فائدة للمقاومة فأذعن لنا فأوثقناه بنفس الوثاق الذي كنت مقيداً بهِ • أما هو فتبسم وقال لا بأس فقد ساعدكما الحظ وقتلتما صاحب الفندق رحمهُ الله فأرجو منكما ان تلقياني على السرير لانني لم أعتد توسد الارض فرفعناهُ حسب طلبهِ ثم أنفذت بابيليت لاستدعآء الفرسان و بقيت احرسهُ وحدي • فقال لي هل تكفل ان يعاملني رجالك

معاملة لطيفة • قلت كن براحة يا هذا فاني اعرف قيمة أمثالك • و بعد قليل دخل علينا بعض الفرسان ففوضت اليهم حراستهُ وجعلت افكر فيما يجب ان افعلهُ لانني أنفذت القسم الاول من واجباتي بالقآء القبض على المارشال وقد بقي عليَّ انقاذ الفرسان الانكليز الذين شاركونا في العمل وتخليص الكنتة لاروندا وتشتيت شمل عصابة الدير • ثم وضعت أسيري على ظهر جواد وجمعت فرساني وسرت بهم الى السهل المحيط بالدير حتى صرنا على مقربة منهُ وكانت هناك شجرة كبيرة وقفنا تحتها ورآنا حرس الدير فأنذروا الحامية فاجتمعوا على السور ينظرون الينا بازدرآء • أما انا فقدت جواد الاسير الى الامام ولما رأوهُ تغيرت هيئتهم وارتفع بينهم صراخ اليأس والحزن والانتقام والتهديد مما دلني على شدة محبتهم لهُ واعظامهم لمقامهِ • وكنت قد احضرت معي حبلاً فأخذهُ بابيليت وعلقهُ في غصن من اغصان الشجرة ثم قال للمارشال اسمح لي يا سيدي ان انزع عن عنقك هذا اللباس الثقيل • فتبسم ميلغلار وقال دونك وما تريد • وما وضع الحبل حول عنقهِ حتى ارتفع صراخ شديد من سور الدير ثم فُتح بابهُ وتقدم الينا ثلاثة فرسان يحملون رايات بيضاً علامة السلم فأشرنا اليهم بالتقدم • ولما اقتربوا حيونا بكل احترام ثم بدأ احدهم بالكلام فقال يوجد عندنا سبعة وثلاثون فارساً انكليزياً اسرناهم بالامس فاذا شنقتم مارشالنا ترون اوائك معلقين جميعهم حول السور • فقلت لهُ انهم واحد وخمسون فارساً • قال كانوا حين دخلوا ولكنهم قاومونا فاضطررنا الى اطلاق بنادقنا فقتلنا منهم اربعة عشر • قلت وضابطهم • قال لم يسلم سيفهُ الا بعد ان صار جثة باردة ولسنا بملومين لاننا كنا نودّ ان نستبقيهُ • فحزنت على فقد هذا الصديق الذي كنت أحبهُ حقيقةً • ثم قلت لهم واذا أطلقت سراح مارشالكم فماذا تعطوني • قال نعطيك عشرةً من الفرسان • قلت لا يكفي • قال عشرين • قلت لا • قال جميعهم بخيولهم واسلحتهم • قلت ومعهم الكنتة لاروندا • قال هذا من المحال • فنظرت الى بابيليت وقلت لهُ اذاً لا بدّ من انفاذ حكمنا • فهمَّ بشد الحبل على عنق المارشال واذ ذاك تكلم المارشال فقال ان اصحابي سلموا بكل

شروطكم اما في أمر الكنتة فلا وبما انكم اختلفتم على هذا الامر فقط أفلا يكون الافضل ان تسألوا الكنتة نفسها هل تودّ الخروج لانهُ لا أنتم ولا نحن نريد حجز حريتها. فسرّني جدًّا هذا الاقتراح وامرت الرجال ان يرجعوا الى الدير ويحضروها وبعد قليل رجعوا وهي معهم فاستقبلها المارشال بتبسم وقال ان حضرة الضابط يرغب في أخذكِ الى حيث لا تعودين ترينا البتة فهل تؤثرين الذهاب معهُ أو البقاء هنا. وكانت قد اقتربت اليهِ فوضعت يديها حول عنقهِ وقالت كلا كلا ايها الحبيب فلن أفارقك ابداً. فنظر اليَّ بتبسم وقال هل سمعت من فيها يا عزيزي الكولونيل جيرار والآن فأذَن لي ان اعلمك بانك قد غلطت في تسميتها الكنتة لاروندا لانها قد صارت زوجتي وان شئت فهي المارشالة ميلغلار

فوقفت عند ذاك مبهوتاً ولا سيما عند ما رأيت تلك السيدة وقد شخصت عيناها الى وجههِ فلم يسعني الشك فيما رأيت ولكنني ازدريت بها على فعلها. فقلت حسنٌ فاسمحوا لي اذاً بالفرسان الانكليز فدآء لمارشالكم وأنا اذهب. فعاد الفرسان الثلاثة الى الدير وغابوا ريثما اخبروا الاسرى ثم احضروهم بجيادهم واسلحتهم الينا. فنزعنا الحبل عن عنق المارشال فتقدم اليَّ وقد مد يدهُ وقال لي استودعك الله يا حضرة الكولونيل ولا اشك انك لم تسرّ بهمتك هذه المرة ولكنني اكلفك ان تخبر المارشال ماسينا من قبلي انك اشجع واقدر من رأيت. والآن فهل يمكنني ان اخدمك بشيء. قلت لي طلبة ارجو ان تعدني بها وهي ان تدفن الضابط الانكليزي كما يليق بالشرفآء. قال اعدك بشرفي ان افعل. قلت وطلبة أخرى وهي أن تبارزني مقدار خمس دقائق فقط. فقهقه ضاحكاً وقال لا فاني ربما أقتلك فأحرمك التقدم وأنت في اول ميدان الحياة أو تقتلني فتحرمني ملذات زواجي لانني لم أتمّ شهر العسل بعد. فسرتُ برجالي محيياً وقد استللت سيفي في وجههِ وقلت لا بد ان نلتقي فيما بعد ولي الامل انك لا تنجو مني في المرة الثانية

فقال الى الملتقى ايها العزيز واذا سئمت نفسك يوماً ما من خدمة امبراطورك فتيقن انهُ يكون لك في جيش المارشال ميلغلار المقام الاول